على كثرة التكتم وشدة الاحتفاظ كان عدد الشيعة يزداد نموًّا حتى اذا ملك البويهيون بغداد والحمدانيون الشام والفاطميون مصر والمغرب ظهر امر الشيعة وبرزوا من زوايا التكتم وتلك نعمة عليهم ولم يمتد امرها اكثر من قرنين ثم عادت بعد ذهاب هذه الدول الى ما كانت عليه وقد تقدم الكلام منا في ذلك احمد رضا

مثلث الشر والدمار

المنكر

يروى عن العلامة الشهير المرحوم الدكتور فانديك انهُ قال «امرّ ما يلقاهُ الشرقي المتعلم انهُ يرى وطنهُ خرابًا فلا يقدر ان يصلحهُ ولا يستطيع السكوت عنهُ» وهل في الارض كلها آلة جهنمية اقوى على تخريب الوطن وتدميره من البعاث جانب كبير من شبانهِ في طريق الاثم والدعارة؟ حقًّا ان هذا من شر آفات خرابهِ ودمارهِ واكبر الادوات العاملة على دك جدرانهِ وتقويض اركانهِ ومحو معالم عمرانهِ . وكل اصلاح يعنى بهِ الوالدون في البيوت والاساتذة في المدارس ورجال الدين في المعابد والمساجد ويقضون ايامًا وشهورًا في حث الاولاد عليهِ وتشويق الاحداث اليهِ تفسدهُ الحانات وبيوت المنكر في ساعات . وشرُّ ما يبتلى بهِ الانسان في هذه الحياة الدنيا ويتعذر عليهِ الصبر والجلد انهُ يرزق ولدًا يراهُ أعز عليهِ حتى من نفسهِ فيجعل حياتهُ بأسرها وقفًا على تنشئتهِ وتربيتهِ وينفق سواد عينيهِ وسويداء قلبهِ على تعليمهِ وتهذيبهِ ويقضي الشهور والسنين على تدريبهِ على السير في سنن البر وسبيل الطهر والعفاف حتى اذا بلغ اشدهُ واستوفى فسطهُ من التهذيب وزان جمالهُ الفائق علم رائق وادب شائق وخرج للسعي والعمل لقيهُ احد زبانية الاثم وزين لهُ الذهاب ان حيث يعاب طهرهُ وعفافهُ بما يرتق نقاءهُ ويكدر صفاءهُ ولا يلبث ان يستحيل ذلك الملك الكريم الى شيطان رجيم . فيهجر مربعًا شب فيهِ وفا وينبذ بيتًا كان للطهر مرتعًا وللصلاح معملاً وابًا وامًّا واخوة كانوا لدائهِ دواء ولجراحهِ بلسمًا ويطلق ما ربا عليهِ من الحشمة والحياء ويقع في حبالة من اغرتهُ بجمال كاذب وأغوتهُ بحب خالب حتى اذا استنفدت مالهُ جزافًا واستنزفت قواهُ استنزافًا واصبح جيبهُ افرغ من رأسهِ وجسمهُ اسقم من ادبهِ قذفت بهِ وجنح الليل ادكن اللمم وقالت لهُ «الى حيث القت رحلها ام قشعم»

ومما يغيظك ويبالغ في نكايتك انك تجد في قوانين الحكومات كلها نصًّا صريحًا على وجوب الاقتصاص ممن يسلبك رغيف خبز ليسد بهِ جوعهُ ولن تجد فيها بابًا لمعاقبة من

يجني عليك باغواء ابنك والتطويح به في مطاوح الاثم والشر والهلاك . انها لجناية من اكبر الجنايات واوسعها انتشاراً واكثرها شيوعاً ولكن مرتكبيها (او مرتكباتها) آمنون ناعمون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

اوليس عجيباً ان المنكر كالمكر معدود بالاجماع من اقبح الرذائل وافظع الكبائر وليس من يجرأ على المجاهرة في مدحه وترغيب الآخرين فيه او انكار ما لهُ من الاضرار الادبية والصحية والمادية بل انك لتجدن اشد الناس انهماكاً فيه يبذل قصارى جهده في اتيان ذلك تحت حجاب الخفاء والكتمان حتى لا تراهُ عين امرء ولا تسمع به اذن انسان ولا يقال عنهُ انهُ من اهل هذا الشر كأن عار ارتكابه لا يلزمهُ الاَّ اذا ذاع امرهُ وشاع سرهُ . ومع هذا كله — مع الاجماع على ما للمنكر من المضرة وما في اتيانه من المنقصة والمعرة — يتهافت الشبان عليه متدارکين وكل يوم يزيد شرهُ استشراء وخطب الناس فيه تفاقماً واستفحالاً

والعجب منهُ ان معظم فرائس المكر وضحايا الدعارة هم من الشبان المهذبين الذين تعلموا ان شرف الانسان الحقيقي في هذه الحياة انما يقوم بسلامة عقله وكمال عيافته وعفافه وان امتن اساس يقوم عليه جاه الامم انما هو صحة الاخلاق وطهارة الاداب وان سلامة العقل تقتضي سلامة الجسد وسلامة الجسد تستلزم اشد العناية والاهتمام بمراعاة القواعد الصحية والعمل بموجبها وام هذه القواعد قاعدة وشنطن الشهير محرر ولايات اميركا المتحدة ومن مقتضاها التبكير في النوم اقتداء بهذا الرجل العظيم الذي زعموا انهُ كان ينام كل يوم الساعة العاشرة مساء ولم يتأخر عنها قط . ومع علمهم بهذه المبادىء النافعة التي توجب عليهم استخدام الليل للنوم والاستراحة وتجديد القوى والنشاط استعداداً للتبكير في مزاولة اعمال الغد يتنافسون في نسيانها والجري على خلاف مقتضاها فيؤخرون وقت نومهم الى ما بعد نصف الليل ساعتين او ثلث ساعات ويحملون انفسهم للانكباب على الملاهي الفاسدة والانغماس في الملاذ الحيوانية ويقضون ليلهم في تبذير اموالهم واتلاف صحتهم وافساد عقولهم وآدابهم ويلقون بانفسهم الى تهلكات تفضي بهم الى الموت والانحطار وتغمص الخزي والعار او تنتهي بحياة تقضي بالجنون او بالزج في غيابات السجون

والعجب من هذا وذاك ان كتب الوحي كلها مجمعة على تحريم الزنى وعدهِ من اكبر الخطايا التي يستحق مرتكبها عقاباً شديداً وجميع الاديان تحض اتباعها على تنكب سبل الاثم والدعارة والاحتفاظ بالعفة والطهارة . وليس بين شرائع البشر وقوانين الحكومات ما يخالف الشرائع المنزلة في هذا الموضوع ولسوء الحظ لم يكن هذا كلهُ كافياً لاستئصال شأفة هذه

الخطيئة الفظيعة وتطهير الارض من ارجاسها وادناسها

ولا بد لي هنا من الاشارة الى ما يوجهُ البعض من الانتقاد الشديد لقوانين الحكومات بدعوى انها تؤدي — ولو على غير قصد من واضعيها — الى ما يشتد به ساعد هذا الشر ويمهد لهُ سبيل الشيوع والانتشار مستشهدين بتلك المنازل القائمة في امهات المدن وفيها الوف وعشرات الالوف من المعالي المطلات من الكوى والشبابيك والابواب والواقفات في زوايا الدروب والمنعطفات والخائلات في عرض الازقة والشوارع يفتشن عن شبان يلقين لاقتناصهم انشب الحبائل واعلق الاشراك ويوردنهم موارد الموت والهلاك

قال بعضهم لاحد هؤلاء المنتقدين ان الحكومات قد تتصل من تبعات هذه البيوت وسأكتفيها بان ما يجري فيها اذا وافق « الوقائع » المسنونة لها لم يكن بالزنى الممنوع ديناً وشرعاً وان هذه البيوت من « الشرور الضرورية » كالحانات وغيرها فلا بد من وجودها حرصاً على مبدإ عدم التعرض للحرية الشخصية واتخاذ المقيات فيها سياجاً للحرائر المحصنات . ولما كان من المستحيل ان ينقطع الزنى بانقطاع وجود هذه البيوت فضرر وجودها تحت مراقبة الحكومة الصحية والادارية مهما كبر وعظم ايسر واصغر من ضرر افلاتها وترك المقيات فيها يتغلغلن هنا وهناك وهنالك ويتجرن باعراضهن على طريقة سرية لا تتمكن معها الحكومة من منعهن او من مراقبة الادواء الخبيثة الفتالة التي يتعرضن للاصابة بها ويكنّ اسهل واسعة لنشرها على طريق العدوى بين الفتيان والشبان

فاجابهُ قائلاً ان هذه الاسباب كلها على رغم ما في بعضها من الصحة لا تجيز انتشار تلك البيوت على الوجه الذي نراهُ الآن . وضرر اقفالها مهما جل وعم فهو عند الباحثين المدققين لا يستحق الذكر بالنسبة الى ما في وجودها على هذه الحالة من الاضرار التي فاقت الاحصاء وضج من هولها اهل الارض والسماء . هذا فضلاً عن ان قوانين الحكومات اما مستمدة من الشرائع السماوية او هي من وضع رجال حكماء مشهود لهم بسعة الاطلاع وبعد النظر وطول التجربة والاختبار والسبق في ميدان التشريع وقد تقدم معنا ان الشرائع المنزلة مجمعة على تحريم المنكر مهما كان نوعهُ وطريقتهُ . وليس من رجل عاقل من رجال التشريع يسوغ وجود هذه البيوت او يزعم ان ما يجري فيها ليس بالزنى الذي يحرمهُ الدين ويكرههُ العقل والنقل

هذا واننا نشكو في هذه الايام ويحق لنا الشكوى من الازمة المالية الضاغطة الخانقة . ولكن شكوانا من آفة المنكر يجب ان تكون اعظم واعم لان شرها اكبر وضررها اكثر . تلك ازمة نشعر بضيقها من الجهة المالية فقط . اما هذه فتستأثر بالمال والصحة وتودي بالآداب التي

لا تثمن بمال ومن دونها أغلى الحلى والجواهر

سمعني ذات يوم احد الشيوخ الاتقياء أحث على وجوب عياف المنكرات فقال لي : ولا تنس الحض على عياف المنكر فهو عندي اهم واوجب من عياف المنكر ولذلك اعجب كل الاعجاب بقول اميلة بنت عبد الله العذرية في تأبينها لزوجها عروس « كان عيوفاً للخنا والمنكر » واعدهُ ابلغ ما رثت به زوجة زوجها لان عياف هذا الاثم الفظيع ارسخ قاعدة تقوم عليها الآداب الطاهرة النقية التي بها وحدها يتقي الشبان اكبر خطر يتعرضون لهُ . واذا كان بالعفة تكميل الناموس فبالتأثم واجتناب المنكر تكميل القداسة

اعرف شباناً لا اسميهم حرصاً على كرامتهم ودفعاً لمظنة الغض من شأنهم رباهم والدوهم احسن تربية وعلموهم في افضل المدارس تخرجوا ولكل منهم علاوة على معرفة قواعد لغته العربية نصيب وافر من مبادىء العلوم العقلية والطبيعية والمام كاف باصول اللغتين الانكليزية والفرنساوية مما سهل عليهِ الاستخدام براتب حسن . وكانوا في اول الامر مثلاً مقرونا بكمال الاخلاق وحسن الصفات وصحة الآداب وسلامة الذوق وحسن التناول وسرعة الخاطر مع ظرف رائع وكياسة شائقة . ولكن لسوء حظهم ونكد طالع والديهم ابتلوا بشراء سوء ورفقاء شرّ وفساد افتادوهم من حيث يدرون ولا يدرون الى حيث رفقتهم السواحر الغوادر واستالتهم الجواذب الكواذب فما ابطأوا ان جعلوا تلك المخزيات قبلتهم يختلفون كل ليلة اليها وينفقون مالهم وصحتهم وشبابهم وآدابهم عليها حتى فرق الفقر شملهم ونثر المرض عقد اجتماعهم وايقظهم صوت الردى من غفلتهم فسبقهم احدهم الى الآخرة في عنفوان شبابهِ ونقل واحدٌ منهم الى المستشفى وآخر الى البيمارستان وحكم على آخر بالسجن ستة اشهر مع الاشغال الشاقة

اذاً المنكر منشأ الويل والهوان في كل مكان وزمان وهو آفة العفة والادب وعلة الهلاك والعطب ومفسد عقول الاحداث ومشوه جمال صيت الذكور والاناث . وليس من شر في الوقت الحاضر عابث بالنفس والجسد وباعث على الغم والنكد مثل هذا الشر الشرير والاثم الكبير الذي قال فيهِ احد شعراء الانكليز ما ترجمتهُ : —

لم أجد قط بين كل الخطايا مأثماً او خطيئة كالدعاره

فهي سم يميت كل شعور ويقسي القلوب مثل الحجاره

واذا قيل « ضرب المكر الوفا » وجب ان يقال « ضرب المنكر ربواته » لان كتب الرذيلة وصور الخلاعة وصحف الدعارة وقصص الاثم ورفقاء السوء وكلام السفاهة واعمال الفساد تفتك كل يوم بالوف وتجرع الناس غصص الحتوف اسعد داغر